



التـرجمة الكاملة

ذكريات

تأليف : آرثر كونان دويل

شارلوك هولمز

المريض المقيم

The Resident Patient

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند آب 1893

ذكريات



ترجمة : سليمان حسون

رواد المعرفة



ذكريات شارلوك هولمز

1- ذو الغرة الفضية
2- لغز الطرد البريدي
3- الوجه الأصفر
4- لغز موظف البورصة
5- لغز سفينة غلوريا سكوت
6- طقس موسغريف
7- لغز بلدة ريغيت
8- لغز الرجل الأحدب
9- المريض المقيم
10- المترجم اليوناني
11- وثائق المعاهدة البحرية
12- المشكلة الأخيرة

مغامرات شارلوك هولمز

1- فضيحة في بوهيميا
2- عصبة ذوي الشعر الأحمر
3- الهوية الغامضة
4- لغز وادي بوسكومب
5- بذور البرتقال الخمس
6- الرجل ذو الشفة المقلوبة
7- مغامرة العقيق الأزرق
8- مغامرة الشريط المُرقط
9- مغامرة إبهام المهندس
10- مغامرة النبيل الأعزب
11- مغامرة تاج الزمرد
12- مغامرة منزل الأشجار النحاسية

ISBN 978-9933-14-811-9


رواد المعرفة للنشر والتوزيع
دولة الكويت - جوال: 0096590088113
Email: rawadalmarefa@hotmail.com

الطبعة الثانية
2015م - 1436هـ

ذكريات شارلوك هولمز

The Resident Patient

المريض المقيم

تأليف: آرثر كونان دويل
ترجمة: سليمان حسون

أجيال الغد
سورية - دمشق - هاتف: 2256733 / 2262422 11 00963
ص.ب: 31453 - agyalalgadsyr@gmail.com
أشرف على التنفيذ الفني والطباعي دار الحافظ
daralhafez.net

9

ذكريات شارلوك هولمز

The Resident Patient

المريض المقيم

تأليف: آرثر كونان دويل

نشرت للمرة الأولى في مجلة ستراند
آب 1893

ترجمة: سليمان حسون

مراجعة: لينا حجازي

مُقدِّمةُ

تفوَّقت شخصية شارلوك هولمز على شهرة مخترعها سير آرثر كونان دويل وتجاوزت شهرتها ليس فقط لندن والجزيرة البريطانية، بل بلغت أقاصي العالم مع ترجمة أعمال ومغامرات هولمز إلى كل لغات العالم تقريباً. فلم يعد أحد من الشَّبان أو الشَّابات إلا ويعرف من هو ذلك المحقق اللامع الذّكاء الذي يعير انتباهاً إلى أدق التَّفاصيل عندما يضع قضية ما تحت مجهر فحصه الدَّقيق. ومن منا لا يذكر براعة هولمز في فك طلاسم أعقد الألغاز وأشدها غموضاً بطريقة تحليله المنطقية الشَّهيرة. تعتبر شخصية هولمز غير الحقيقية طبعاً واحدةً من أكثر الشَّخصيات تأثيراً في القراء خلال القرن العشرين نظراً لمخاطبتها عناصر أساسية في شخصية أي إنسان لتحفيز قدراته

العقلية، وتفكيره من أجل الوصول إلى حل كل لغز اشتركت فيه. وكأنَّها (أي شخصية هولمز) كانت تحث القارئ دوماً وتحفزه للوصول إلى الحقيقة، أو حل اللّغز المطروح بشكلٍ يجعل القارئ يضطر لاستخدام كل ملكاته الفكريَّة والعقلية للوصول مع هولمز وواطسون إلى حقيقة الأمر، أو حتَّى أن يسبقهما في التَّوصل للحقيقة. الطَّريف في شخصية هولمز أنَّها وعلى الرغم من أنَّها تقدِّم لنا شخصاً من لندن في نهاية القرن التَّاسع عشر إلا أنَّها من خلال طريقة تعاملها مع ما حولها ومن حولها تبدو شخصية أكثر معاصرة وكأنَّ كونان دويل نجح بتحويلها إلى شخصية خارج إطار زمان محدد.

الأهم من شخصية هولمز التي تتسيَّد كل قصص كونان دويل هي شخصيَّة كاتبها التي تشي بشخص عاش حياته كتجربةٍ عظيمةٍ تمكَّن إلى أقصى حد في تصويرها من خلال شخصية هولمز، أحياناً وشخصية د. واطسون بصورةٍ أكبر وأكثر جلاء. كما تمكّن الفنان سيدني باجيت من ابتداع صورة نمطية محدَّدة ومشوِّقة للسيد هولمز في

أذهاننـا، مـع مواكبـة قصـص كونان دويـل برسـومات جميلة جعلـت صـورة هولمـز المرتـدي لقبعتـه المميـزة. وغليونـه الجميل، صورة لا تمحى من أذهاننا.

آرثر كونان دويل
مؤلف شخصيَّة «شارلوك هولمز»

ولـد الطبيـب والروائـي البريطـاني السـير آرثـر كونـان دويل في أدنبرة باسـكتلندا سـنة 1859، واشتهرت الشَّخصية التـي ابتدعهـا «شـارلوك هولمـز» لرجـل التَّحـري الذَّكـي القـادر على فـك ألغاز الجرائـم، معتمداً على امكاناتـه الذِّهنية وقـوة الملاحظـة، واتبـاع طريقـة الملاحظـة والتَّحليـل والاسـتنتاج بالاعتـماد عـلى العلـم والمنطـق، هذه الشَّـخصية التي أصبحت أكثر شهرة من مبتدعها.

وقـد مُثلـت العديـد مـن رواياتـه وقصصـه، وتحوَّلت إلى أفـلام سـينمائية وأفـلام كارتونية. وقد هجر السـير آرثر دويل مهنـة الطّب بعد أن مارسـها ثماني سـنوات، واتَّجـه إلى الأدب، واسـتطاع أن يبـدع فيه. بـدأ حياته الأدبية سـنة 1887 بكتابة القصـص القصـيرة للمجـلات بهـدف زيـادة دخلـه. يقـول

النَّاقد كريستوفر مورلي عن شارلوك هولمز: لم يحدث أبداً أن نالت شخصيَّة روائيَّة هذا الحظ من القدرة على امتاع القرَّاء والالتصاق بهم بمثل ما نالت شخصية شارلوك هولمز. فالسير آرثر دويل بعد أن مارس مهنة الطّب في عيادته التي لم يكن يزورها إلا النُّزر اليسير من المرضى، كان يجد أوقاتاً كبيرة من الفراغ، شغلها بكتابة القصص القصيرة، والتي لم تنل حظاً من النَّجاح في البداية.

إلا أنَّه وبعد نشر روايته الأولى عن شارلوك هولمز سنة 1887 أخذ نجمه في الصّعود. وبلغت مجموع القصص والرِّوايات التي كتبها السير آرثر دويل وظهرت فيها شخصية شارلوك هولمز حوالي 60 عملاً، جُلَّها من القصص القصيرة ، حتَّى أصبح السير آرثر دويل من أكثر كتَّاب القصَّة القصيرة دخلاً في عصره.

ونظراً لجهوده في دعم الحكومة البريطانية في حرب البوير «1899 - 1902» رقِّيَ إلى رتبة فارس سنة 1902.

شارلوك هولمز

شخصيَّة خياليَّة لمحقِّق من أواخر القرن التَّاسع عشر وأوائل القرن العشرين، ابتكرها الكاتب والطَّبيب الاسكتلندي سير آرثر كونان دويل، ظهرت الشَّخصية لأول مرة في 1887، واشتهرت الشَّخصية بمهارتها الشَّديدة في استخدام المنطق والمراقبة لحل القضايا، وقد يكون هو أشهر محقِّق خيالي في العالم، وهو بالفعل أحد أكثر الشَّخصيَّات الأدبيَّة المعروفة بشكلٍ عالمي.

كتب كونان دويل أربع روايات، وستاً وخمسين قصَّة قصيرة من بطولة هولمز، رويت جميعها من قبل صديقه الحميم وكاتب سيرته دكتور جون هـ. واطسون، باستثناء قصَّتين رواهما هولمز بنفسه، واثنتين رويتا بضمير الغائب.

وصف شارلوك هولمز نفسه بأنَّه محقِّقٌ استشاري خبير، يتم استدعاؤه لحل القضايا التي يثبُت أنَّها صعبة الحل جدَّاً على المحققين الرَّسميين (النَّمطيين). وتُخبر القصص أنَّه كان قادراً في العديد من المناسبات على حل القضايا بدون مُغادرة بيته، دون أن تهتم القصص بتقديم الكثير من

هـذه القضايـا الصَّغـيرة، مُركِـزَةً عـلى القضايـا المشـوِّقة التي تتطلَّـب منـه القيام بتحريك سـاقيه فعـلاً. يتخصَّص هولمز في حـل القضايـا الغريبـة مسـتخدماً قـواه الاسـتثنائية في المراقبة والتَّحليل المنطقي.

يُصوَّر هولمز بشـكلٍ دائم في الوسـائط الإعلاميـة المختلفة مرتديـاً قبعـة صائد الأيائـل وعباءته، مُدخناً غليوناً، وممسـكاً بعدسـةٍ مكـبرة. ويوصـف هولـمز بأنَّـه سـيدٌ إنجليـزي مـن الطِّـراز الفيكتـوري، طويـلٌ ورشـيقٌ، لـه عينـان حادَّتـان دقيقتـان، وأنـف معقـوف. بالرُّغـم مـن قامتـه النَّحيلـة فـإنَّ قدراتـه البدنيَّـة عاليـة. هـو ملاكـمٌ ومبـارزٌ ماهرٌ، وعـادة ما يتغلَّـب عـلى خصومـه في المـرات القليلـة نسـبيَّاً التـي اضطر فيهـا للاشـتباك جسـديَّاً. وفي مغامـرة إكليـل العقيـق يقـول هولـمز أنَّـه: (يمتلك قوة اسـتثنائية في أصابعه). أمَّـا في مغامرة المنزل الفـارغ فيذكـر أنَّـه: (يمتلـك القليل مـن المعرفة حول المصارعـة اليابانيـة). كان يعيـش هولـمز في لندن شـارع بيكر عنوان 221 B.

في أوَّل قصصـه، دراسـة بالقرمـزي، قُدِمَـت بعـض

المعلومات عن خلفية هولمز. قُدِم في 4 آذار 1881 على أنَّه طالب كيمياء مستقل، له مجموعةٌ واسعةٌ من الاهتمامات الجانبية، وتقريباً؛ فإنَّ كل هذه الاهتمامات تصب في مجرى مساعدته ليصبح خارقاً في حل الجرائم. في مغامرة أخرى مبكِّرة بعنوان مغامرة غلوريا سكوت، تتضح الأسباب التي دعت هولمز إلى العمل كمحقق خاص؛ امتداح والد زميله في الكلية الشَّديد لمواهبه وقدراته الاستنتاجيَّة.

في مغامرة المترجم الإغريقي، يقول هولمز: أنَّ جدَّته كانت شقيقة الرَّسام الفرنسي فيرنو. وفي دراسة بالقرمزي، يضع دكتور واطسون تقييماً لمهارات شارلوك:

ويعتبر شارلوك هولمز أيضاً مُحلِّل شفرات كفء، ويقول لواطسون: أنا متآلف مع كل أشكال الكتابة السريَّة بشكل جيد، وأنا نفسي مؤلف كتاب ثانوي حول الموضوع، حللت فيه مائة وستين شفرة منفصلة. حُلت إحدى الشَّفرات في مغامرة الرِّجال الرَّاقصين، التي استخدمت سلسلة من الأشكال الأوليَّة.

كما أظهر هولمز نفسه كأستاذ في التَّنكر بعد أن تنكر في

أشكال مختلفة خلال مغامرات: بحار (علامة الأربعة) وسائس خيل، ورجل دين (فضيحة في بوهيميا)، ومدمن أفيون (الرَّجل ذو الشفة المقلوبة)، ومتبطل عادي (مغامرة إكليل العقيق)، وكاهن إيطالي عجوز (مغامرة المشكلة الأخيرة)، وبائع كتب (مغامرة البيت الفارغ)، وعامل تمديدات صحيَّة أو سبَّاك (مغامرة تشارلز أغسطس ميلفيرتون)، ورجل محتضر (مغامرة المحقِّق المحتضر)، وأخيراً متسول كلب آل باسكرفيل.

ويمكن اعتبار هولمز رائداً في علم الأدلَّة الجنائيَّة الحديث لاستخدامه هذا العلم في قضاياه، مثل: تعرفه على الفروقات بين أنواع الآلات الكاتبة لفضح الاحتيال (قضية هوية). وتوصله إلى جريمة باكتشافه قطعتين من البقايا البشرية (مغامرة صندوق الورق). وملاحظته لبقايا بارود على الضحية (مغامرة ميدان ريغاتي). وملاحظته نوع الرَّصاص المستخدَم في جريمتين (مغامرة البيت الفارغ). واستخدامه بصمة الأصابع لتحرير رجل بريء (مغامرة باني نورورود).

عـاش شـارلوك هولـمز تاريخيـاً، في B 221 شـارع بيكـر، لنـدن منـذ 1881، حيـث أمـضى العديـد مـن سـنواته المهنية مـع صديقـه الحميـم دكتور واطسـون، الذي تشـارك الشـقة معـه قبـل زواج واطسـون في 1890. وكانـت تـشرف عـلى صيانـة الشـقة والاهتـمام بهـا السـيدة مارثـا هدسـون، مالكة البنايـة. وقـد وصـف دويـل الحـي الـذي يعيشـان فيـه بدقة، حتَّـى أنَّ الكثيريـن من القرَّاء زاروا شـارع بيكـر للبحث عن العنوان الخيالي.

ومـن أبـرز الشَّـخصيات التـي ظهـرت في حياة شـارلوك هولمز:

د. واطسون

واطسـون؛ صديـق هولـمز الحميـم، وكاتـب سـيرته الذَّاتيَّة، كـما أنَّـه يقـوم بتسـجيل معظـم قضايـا هولـمز. وفي القصـص الأخـيرة ينتقـد هولـمز واطسـون دائـماً لأنَّـه يـروي القصـص بشـكلٍ مثيرٍ، مبتعـداً عـن الطَّريقـة الموضوعيـة والمفصَّلـة للتقاريـر التـي تركـز عـلى ما يُسـميه هولـمز (العلم المحـض). واطسـون، بالمقابل، له سـمعة مـبررة بعض الشَّيء

كرجل يميل إلى النّساء، يتكلَّم بحب عن بعض النِّساء، وفي بعض القصص الطَّويلة كثيراً ما يركِّز على جمال امرأة معيَّنة، وفي النِّهاية فإنَّه يتزوَّج واحدة بالفعل. ماري مورستان من رواية علامة الأربعة.

جيمس موريارتي
«عدو شارلوك هولمز الأزلي»

البروفيسور جيمس موريارتي (نابليون الجريمة)، هو في الأساس معلِّم الرياضيات الخصوصي لهولمز، كما أشير لذلك أيضاً في عمل بارينغ-غولد. وهو المشكلة الأساسية في العديد من قضايا شارلوك هولمز.

سقط مع هولمز أثناء صراعهما في شلالات راينباخ. ونوى كونان دويل أن تكون (المشكلة النِّهائية) التي حدث فيها ذلك، هي آخر قصة يكتبها عن هولمز، لكنَّ الرَّسائل الكثيرة التي استلمها مطالبةً بعودة هولمز أقنعته بالاستمرار في كتابة القصص. وفي (مغامرة المنزل الفارغ) أخبر كونان دويل أنَّ موريارتي وحده من سقط في الشَّلال، وأنَّ هولمز جعل العالم يعتقد بأنَّه مات أيضاً ليراوغ أتباع موريارتي.

آيرين أدلر

المرأة الوحيدة التي أبدى هولمز اهتماماً بها. وتبعاً لما قاله واطسون، فإنَّ هولمز كان يشير إليها دائماً باعتبارها (المرأة). بالرُّغم من أنَّ هولمز نفسه لم يستخدم هذا المصطلح، على أنَّه ذكر اسمها الفعلي عدَّة مرات في قضايا أخرى. وهي أيضاً واحدة من النِّساء القلائل اللائي ذُكرن في قصص شارلوك هولمز، بالرُّغم من أنَّها ظهرت فقط في قصة فضيحة في بوهيميا، إلا أنَّها غالباً ما اعتبرت المرأة الوحيدة التي كسرت تحفُّظ هولمز. وهي المرأة الوحيدة التي هزمت هولمز في لغز.

مايكروفت هولمز

الشَّقيق الأكبر لهولمز، الذي يمتلك قوى تحليلية تفوق حتَّى تلك التي يتمتَّع بها شقيقه الأصغر. وبالرُّغم من ذلك فإنَّ مايكروفت غير قادر على أداء عمل تحرٍ مشابه لعمل شارلوك، لأنَّه لا ينوي بذل أي جهد جسدي ضروري لحل القضايا.

ليس لديه طموح أو طاقة، ولن يتزحزح عن هذا حتَّى ليثبت حلوله الخاصَّة، ويُفضِل أن يُعتبر حله خاطئاً على أن يتحمَّل عناء إثبات صحة كلامه. كثيراً ما أخذت مُعضلاتي إليه، وحصلت منه على شروحات ثبت صحتها فيما بعد، غير أنَّه كان دائماً غير قادر على حل النّقاط العمليَّة.

المريض المقيم

حين أنظر على سلسلة المذكرات التي أسعى من خلالها إلى إبراز الميِّزات العقليَّة والمقدرات الفذَّة لصديقي شارلوك هولمز، أجد صعوبة متناهية في اختيار المناسب من الأمثلة والنَّماذج التي تحقِّق ذلك الهدف، وتبرز ميزات صديقي من مختلف الزَّوايا.

ففي بعض القضايا التي أنجز فيها هولمز عملاً مميَّزاً في التَّحقيق والتَّحليل المنطقي والاستنتاج الصَّحيح كانت الحقائق التي بنى عليها استنتاجاته بسيطةً ومعروفةً للجميع، بحيث أتجاوزها ولا أذكرها للنَّاس على أساس أنَّها من المسلَّمات البسيطة والمعروفة بشكلٍ تلقائي عند الجميع.

من جانب آخر حدث كثيراً أن كان هولمز مهتماً بقضية

مـا وكانت حقائـق تلك القضيـة ذات خصائـص مثيرة، لكن أسـلوب هولمز في تحديد أسـبابها كان أقل مسـتوىً ووضوحاً مما كنتُ أتمنَّاه حين كنت أدوِّن وأنشر قصص مغامراته.

وربـما ينطبـق هـذا الـكلام بشـكلٍ كبـير في القصَّـة التـي سـأرويها هذه المرَّة؛ حيـث لم يظهر قدراتـه التَّحليليّة ومهاراته في هذا الإطار بما فيه الكفاية في القضية التَّالية.

وعـلى الرّغـم مـن ذلـك فقـد كان تسلسـل أحـداث هذه القضيـة مدهشـاً، بحيـث لم أتمكَّـن مـن حذفها مـن مذكرات شارلوك هولمز.

في أحـد الأيـام الكئيبـة والماطرة من شـهر تشريـن الأول، قـال هولـمز موجِّهـاً كلامـه لي: إنَّ الجـو غـير صحـي يـا واطسـون، رغم أنَّ المسـاء حمل معـه بعض النَّسـمات العليلة. ما رأيك بالتَّنزه في شوارع لندن؟

لقـد مللـتُ غرفتنـا الصَّغـيرة الكئيبـة، فوافقـت عـلى الخروج بحماسة.



وبالفعل وتجوّلنا حوالي ثلاث ساعات نشاهد المارَّة يروحون ويغدون عبر شارعي فليت وستراند واندمجت بالحديث مع هولمز، وأدهشني كالعادة بقوَّةِ ملاحظته، وهكذا لم نرجع إلى شارع بيكر إلا بحلول العاشرة ليلاً، حيث وجدنا عربة تنتظر بباب المنزل الذي نقطنه.

قال هولمز: آه يبدو أنَّه طبيبٌ عام ليس لديه خبرةٌ كبيرةٌ في الطِّب رغم أنَّه أنجز الكثير.

أتصوَّر أنَّه قادم للحصول على استشارتنا. لحسن الحظ رجعنا في الوقت المناسب.

بدا ما قاله هولمز منطقيَّاً كوني بت أعرف أساليبه في الاستنتاج رغم غرابة الدَّلائل.

فقد توصَّل إلى استنتاجه السَّريع هذا وكما توقعت بملاحظة الأدوات الطبيَّة الموضوعة بسلَّةٍ مُعلَّقةٍ داخل العربة تحت ضوء مصباح الشَّارع.

كما دلَّ وجود ضوء خافت في غرفتنا على أنَّ هذه الزِّيارة في هذا الوقت المتأخِّر كانت لنا.

تبعتُ هولمز إلى غرفتنا والفضول يأكلني لمعرفة سبب

زيارة طبيب لنا في هذا الوقت المتأخِّر.

حين دخلنا الغرفة رأينا رجلاً شاحباً بوجهٍ طويلٍ وشعر أشقر.

كان قد جلس على مقعد بالقرب من المدفأة، ولم يكن يتجاوز الرَّابعة والثَّلاثين من العمر. لكن ملامحه المتعبة ومظهر المريض كانا يدُلان على أنَّ الحياة قد استنزفت كل قواه وسرقت منه شبابه.

ورغم كونه خجولاً كرجلٍ مُحترمٍ وحسَّاس إلا أنَّه كان منفعلاً، وكانت يده تشبه إلى حدٍ كبير يد فنَّان أكثر مما هي يد جرَّاح.

كان يرتدي ملابساً غامقةً، عبارة عن معطف أسود طويل حتَّى الركبة، وبنطالاً داكناً، ولم يكن من ألوان زاهية في ثيابه سوى مسحة لون في ربطة عنقه.

قال هولمز والسرور واضحٌ على وجهه: مساء الخير يادكتور. أنا مسرور لأننا لم نؤخِّرك سوى بضع دقائق.

- لقد تحدّثتَ مع سائق عربتي إذن؟

- لا، بل عرفت من الشَّمعة المُضاءة على الطَّاولة.

أرجو أن تستريح وتخبرني كيف يمكن أن أخدمك؟.

قال زائرنا: أنا دكتور بيرسي تريفيليان، وأقطن في مبنى 403 في شارع بروك.

فسألته قائلاً: ألستَ أنتَ مؤلِّف الدِّراسة عن الأمراض العصبيَّة الغامضة؟

بدت السَّعادة على وجهه لدى سماع ذلك وتدفق وعاد لون الحياة إلى وجهه عندما عرف أنَّ هناك من يعرف عن أعماله، وقال: من النَّادر جدَّاً ما أسمع عن هذه الدراسة لدرجة ظننتُ أنَّها انتهت تماماً، فالنَّاشر الذي وضعها في كتاب أعطاني بياناً سيِّئاً جدَّاً عن مستوى بيعها المتدني. هل أفهم من هذا أنَّك طبيب؟

- جرَّاح متقاعد من الجيش.

- كانت الأمراض العصبية هوايتي المفضلة على الدَّوام، وأتمنَّى أن أتخصَّص في هذا المجال مستقبلاً، لكن على المرء أن يحاول الحصول على كل شيء في أي اختصاص أولاً. على كل حال هذا ليس ما يهمني الآن. أنا أقدِّر وقتك الثَّمين يا سيد هولمز، لكن في حقيقة الأمر وقعتْ في منزلي مؤخراً

مجموعة من الأحداث الغريبة، وبات من المستحيل بعد الذي حدث هذه اللَّيلة أن أنتظر دون طلب مشورتك ومساعدتك.

جلس شارلوك هولمز وأشعل غليونه ثمَّ قال: يسرني أن أقدِّم لك المشورة والمساعدة، لكن أرجو منك أن تصف بدقة تلك الأحداث الغريبة التي تؤرِّقك.

فأجابه د. تريفيليان: هناك واحد أو اثنان من تلك الأمور تافه لدرجة أنِّي أخجل من ذكرها. لكن الأمر غير قابل للتَّفسير، والاتِّجاه الأخير الذي اتَّخذته الأحداث أصبح معقداً جدَّاً. لذلك سأقص الأمر عليك لتحكم بنفسك على ما هو هام أو غير ذلك.

قبل أن أبدأ لا بدَّ لي من أن أذكر لزميلي أنِّي خريج جامعة لندن كما تعرف، وأرجو ألا تعتبرني مغروراً لو قلت أنَّ أساتذتي اعتبروني عندما كنت طالباً بأنِّي صاحب مستقبل واعد جداً.

بعد تخرجي كرَّستُ كل وقتي للبحث وشغلتُ وظيفةً صغيرةً في مستشفى كنغركوليج. وأثار بحثي في علم

أمراض الإغماء التَّخشبي اهتماماً كبيراً لحسن الحظ، وفزت أخيراً بجائزة بروس بينكرتون وبميدالية عن بحث إصابات الأعصاب الذي أشار إليه صديقك.

كما يجب أن أشير الآن أنَّ توقعي حول نفسي في ذلك الوقت كان بأنَّ أمامي فرصةً كبيرةً للحصول على مستقبلٍ مهني ممتاز.

كانت العقبة الكبرى في طريقي هي حاجتي إلى المال. ويمكنك أن تتفهَّم أنَّ الأخصائي الطَّامح للتَّطور يجب أن يبدأ بعيادةٍ في واحد من الشوارع الـ 12 في منطقة ساحة كافنديش.

وكما تعرف فإنَّ العيادة هناك تكلِّف ثروةً صغيرةً بين إيجار باهظ ونفقات التَّأثيث والنَّفقات الأوليَّة.

كما يجب على الطَّبيب أن يكون قادراً على إعالة نفسه لسنواتٍ عديدةٍ قبل أن يبدأ بجني الأرباح، إضافة لنفقات أجرة عربة أنيقة وحصانها.

كان كل ذلك فوق طاقتي، وتمنَّيتُ أن أدَّخر لتوفير ما يكفي لفتح عيادتي الخاصَّة خلال عشرة أعوام، لكن وقع

أمرٌ مفاجئ فتح أمامي آفاقاً جديدة.

وكان ذلك الأمر زيارة سيِّد محترم لم أعرفه قبلاً، اسمه بلسينغتون. جاء إلى مكان إقامتي، وبدأ حديث عمل مباشرةً دون مقدِّمات حيث قال: هل أنت بيرسي تريفليان صاحب السيرة المهنية المُميَّزة، والذي فاز بجائزةٍ كبيرة مؤخَّراً؟

أومأتُ برأسي نعم، فتابع قائلاً: أرجو أن تجيبني بصراحة وستكون مسروراً.

لديك المهارة التي تجعلك رجلاً ناجحاً، فهل تملك إضافةً إلى المهارة، حسن التَّصرُّف؟

لم أستطع إلا أن أبتسم بسبب سخافة وفظاظة السُّؤال في آنٍ وأجبته: أظنُّ أنِّي أملك ما يكفي من حسن التّصرف.

- هل لديك عادات سيئة؟ هل تميل لشرب الكحول بكثرة مثلاً؟

فصحتُ بصوتٍ مرتفع: بالطَّبع لا يا سيدي!

- ممتاز، هذا ممتاز لكني مضطر لسؤالك: لماذا إذن لم تفتح عيادة وأنت تتمتَّع بهذه الخصال المميَّزة؟

هـزت كتفـي فتابع بنشـاط: هيـا، هيـا إنّها نفـس القصّة القديمة.

لديـك المؤهـلات الشّـخصية والعقليّـة لكنّـك تفتقـر للإمكانيات المادية، أليس كذلك؟



مـاذا تقـول إذن لـو أخبرتُكَ أنَّنـي سأسـاعدك في أن تفتح عيادة في شارع بروك؟

حدَّقـت بـه بذهـول، فهتـف قائـلاً: حتَّـى أكـون صريحـاً معـك، أنـا أفعـل ذلـك من أجـلي، وليـس مـن أجلـك. فإذا ناسبك الأمر فهو مناسبٌ لي أنا تماماً أيضاً.

أملـك بضعة آلاف وأود استـثمارها، هل تفهـم ما أقصد؟ وأعتقد أنِّي سأستثمرها فيك.

فقلت بدهشة: لكن لماذا؟

- حسـناً، إنَّ الأمـر مثـل أي مضاربـة ماليـة في البورصة، لكنَّه أكثر أماناً من معظم المضاربات.

- ماذا يجب أن أفعل في هذه الحالة؟

- سـأخبرك كل شيء... سـوف أسـتأجر المنـزل وأقـوم بتأثيثه. كما سأدفع للخادمات وأدير المكان.

كل مـا عليـك فعلـه هـو أن تجلس عـلى كرسيك في غرفة المعاينـة وتقـوم بعملـك. سـوف أعطيـك المـال لمصاريفـك الشَّـخصية والأشـياء الأخـرى. سـوف تعطينـي ثلاثـة أرباع ما تكسب وتحتفظ بالربع الباقي.

وكان هـذا العـرض الغريـب و مـا قدَّمـه لي ذلـك الرجل ياسيد هولمز.

لن أزعجك بتفاصيل مفاوضاتنا.

المهـم انتهـى الأمـر بانتقـالي إلى الموقـع الجديـد، وبـدأت العمـل في العيـادة بالـشّروط التـي اتَّفقنـا عليهـا، وأتـى هـو للإقامـة معـي عـلى أنَّه (مريـضٌ مُقيم) فقـد كان قلبـه ضعيفاً كما يبدو، وبحاجة للبقاء تحت عناية طبيَّة مستمرَّة.

فقـام بتحويل أفضـل غرفتـين في الشـقة إلى غرفة جلوس وأخرى للنوم خاصَّتين به!

كانـت عـادات الرَّجل غريبـة، فهو يتجنَّـب الصحبة، ولا يخرج إلا نادراً.

كان منضبطـاً بشـكلٍ كبـيرٍ في أمـر واحد فقـد كان يدخل إلى غرفة المعاينة كل مسـاء في الموعد نفسـه ليدقِّق الحسـابات، ويترك لي خمسـة شـلنات وثلاثة بنسـات من كل جنيـه أجنيه، ثم يأخذ الباقي ليحفظه في خزنة وضعها في غرفة نومه.

يمكـن القـول بثقـة يـا سـيدي أنَّـه لم ينـدم عـلى مخاطرتـه الماليـة معـي، فقـد نجحـت منـذ البدايـة، وبفضـل بعـض

الحالات القليلة النَّاجحة إضافة إلى سمعتي الجيدة في المستشفى، أصبح الطَّلب على خدماتي كبيراً بزمن بسيط، وحولته إلى رجل غني خلال هذه السَّنوات القليلة الماضية.

هذا كل ما يتعلَّق بعلاقتي مع السيد بلسينغتون، ولم يبقَ سوى أن أخبرك بما دفعني للحضور إليك هذه الليلة من منزله.

يعيش السيد بلسينغتون منذ عدة أسابيع حالة هياج، وقد تحدَّث عن سرقةٍ ما حدثت في المنطقة الغربية من المدينة.

بدا منفعلاً بسبب هذه السَّرقة دون أن يكون هناك داعٍ للانفعال، وقال أنَّه يجب تركيب مزاليج أقوى على النّوافذ والأبواب بسرعة دون تأجيل.

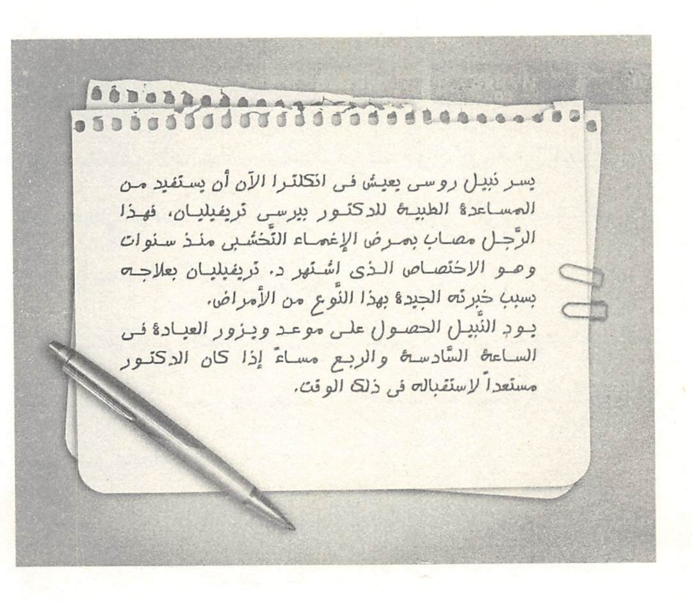
استمرَّ على هذا الحال من القلق لأسبوع، وقضى وقته ينظر من النَّوافذ، ولم يعد يخرج للتَّنزه قليلاً قبل العشاء مثلما كان يفعل دوماً.

خطر لي من رؤية تصرفاته الغريبة أنَّه مصابٌ بخوفٍ كبيرٍ من شيء أو شخص ما.

وما أن سألته عن الموضوع حتَّى انقلب أمامي إلى شخصٍ شرس جداً لم أعرفه للوهلة الأولى، ما حدا بي ترك نقاش هذا الموضوع معه.

وبعد مضي فترة من الوقت تبدَّد قلقه وعاد إلى طبيعته حتَّى طرأ حدث جعله ينهار.

لقد تلقيتُ منذ يومين رسالة لم يكن عليها أي عنوان أو تاريخ ونصها كالتَّالي:



يسر نبيل روسى يعيش فى انكلترا الآن أن يستفيد من المساعدة الطبية للدكتور بيرسي تريفيليان، فهذا الرَّجل مصاب بمرض الإغماء التَّخشبى منذ سنوات وهو الاختصاص الذى اشتهر د. تريفيليان بعلاجه بسبب خبرته الجيدة بهذا النَّوع من الأمراض.
يود النَّبيل الحصول على موعد ويزور العيادة فى الساعة السَّادسة والربع مساءً إذا كان الدكتور مستعداً لاستقباله فى ذلك الوقت.

أثارت الرِّسالة اهتمامي الشَّديد، لأنَّ مرض الإغماء التَّخشبي نادر الحدوث، ورأيت بالأمر فرصةً رائعةً لدراسة حالة جديدة.

كنت في غرفة المعاينة حين أدخل مساعدي المريض الروسي في موعده.

كان رجلاً عجوزاً ونحيلاً، وتبدو عليه الرّزانة.

لقد جعله شكله العادي بعيداً عن تصوري لنبيل روسي لكن ما أثار فضولي الشَّاب الطَّويل الوسيم الذي كان برفقته. كان له وجه حاد القسمات، وجسم مفتول العضلات. وكان العجوز يتكئ على ذراعه عندما دخلا، ثمَّ ساعده الشَّاب ليجلس على الكرسي بحنان لا يتوقعه المرء من رجلٍ مثله.

تحدَّث معي الانكليزية بلكنةٍ غريبةٍ قليلاً وقال: أعتذر عن دخولي يا دكتور فهذا والدي وصحته تعني الكثير بالنسبة لي.

تأثَّرتُ بكلامه وقلت: يمكنك البقاء هنا أثناء الفحص إذا أردتَ ذلك.



شَابَ صوته بعض الخوف وهو يقول: مستحيل.

هذا سيكون مؤلماً جدّاً بالنِّسبة لي.

لا أرغب أبداً بمشاهدة والدي يمر بإحدى نوباته المرعبة... إنَّ أعصابي لا تحتمل ذلك. لو سمحت لي،

سوف أنتظر في غرفة الانتظار حتَّى تنتهي من فحصه.

وافقتُ بالطَّبع على طلبه، فانسحب الشَّاب خارجاً ثمَّ بدأتُ أناقش المريض حول حالته، ودوَّنتُ بعض الملاحظات بصعوبة، لأنَّ الرَّجل لم يكن ذكيَّاً جداً وكانت إجاباته غريبة في معظم الأحيان.

اعتقدتُ أنَّ السَّبب وراء ذلك يكمن بعدم معرفته الجدية باللغة الانكليزية.

لكن فجأة وفيما كنت أدوِّنُ توقف عن الإجابة على أسئلتي، وحين نظرتُ إليه أُصبتُ بالصَّدمة لرؤيته مُتصلِّباً على كرسيه، وقد تشنَّج وجههُ وأصبحت نظراته بلا حياة. لقد وقع في نوبةٍ جديدةٍ.

انتابني الرعب والشَّفقة للوهلة الأولى، لكنِّي سأعترف بأنَّني شعرتُ بنوعٍ من الرضى المهني.

قمت بقياس نبض المريض، ودرجة حرارته، ثمَّ فحصتُ مدى تصلُّب عضلاته وردود أفعاله.

لم أجد أي عارض جديد يختلف عمَّا كنت أعرفه سابقاً.



ولَّما كنت قد حصلت على نتائج طيِّبة في علاجاتي السَّابقة عبر جعل المريض يستنشق دواء اسمه أيميل النَّترات، فقد بدت هذه الحالة فرصةً جيِّدةً لأجرِّب فعاليَّته.

كانت زجاجة الدَّواء في الدَّور السُّفلي من المنزل، حيث يقع معمل الدَّواء الخاص بي، لذلك تركتُ مريضي على

كرسيه وأسرعت لجلب الدَّواء.

تأخَّرتُ قليلاً لحوالي خمس دقائق في العثور على الدَّواء وعندما عدتُ كانت دهشتي كبيرة لأجد أنَّ الغرفة خالية والمريض قد اختفى!

وكرد فعل على المفاجئة سارعت إلى غرفة الانتظار فلم أجد الابن أيضاً.

كان باب الصَّالة مغلقاً لكنَّه ليس مقفلاً.

أمَّا المساعد الذي يُدخل المرضى فقد كان جديداً وليس رشيقاً بما يكفي على كل حال.

فهو عادةً ينتظر في الأسفل حتَّى أرن له الجرس من غرفة المعاينة فيقودُ المرضى إليّ، ويقودهم في طريق الخروج كذلك الأمر.

لم يكن المساعد قد سمع شيئاً، وهكذا بقي الأمر لغزاً غامضاً بالنِّسبة لنا.

وعندما عاد السَّيد بليسنغتون من نزهته المسائية لم أخبره بما حدث، حيث أخذت بتخفيف التَّعامل معه إلى الحدود الدُّنيا.

حسناً، لم أعتقد أنِّي سأرى ذلك المريض الروسي مرة أخرى لكن يمكنك أن تتصوَّر دهشتي مرَّة أخرى، وأنا أراه داخلاً عليّ مع ابنه في نفس الموعد مساء اليوم كما فعلاً من قبل!

قال مريضي: أريد أن أعتذر لرحيلي المفاجئ يوم أمس يا دكتور.

فقلتُ له: أعترفُ لكَ بأنَّ الأمر أثار دهشتي إلى حدٍ بعيد.

فأجاب: حسناً، في حقيقة الأمر عندما أستيقظ من هذه النَّوبات يكون عقلي مشوَّشاً، وأنسى كل ما حدث قبل النَّوبة.

عندما استيقظت البارحة في غرفة غريبة بالنِّسبة لي وأنت لم تكن موجوداً، خرجتُ إلى الشَّارع وأنا في حالة ذهول.

عندها قال الشَّاب: أمَّا أنا فحين رأيتُ أبي يعبر غرفة الانتظار، اعتقدتُ أنَّ الفحص قد انتهى، ولم أدرك حقيقة ما حدث إلا بعد أن وصلنا إلى المنزل.

فأجبتُ ضاحكاً: لا بأس، لم يحدث أي ضرر سوى أنّي وقعتُ في حيرةٍ كبيرةٍ، ثمَّ توجَّهت إلى الشَّاب بالقول لو سمحت انتظر في غرفة الانتظار، أمَّا أنت يا سيدي فيسعدني استكمال الفحص والمعالجة التي انتهت فجأة أمس.

ناقشتُ مع العجوز المحترم أعراض مرضه لمدة نصف ساعة، بعد ذلك وصفتُ له الدَّواء، ثمَّ غادر مُتَّكأً على ذراع ابنه.

كما أخبرتكم سابقاً فإنَّ السيد بليسنغتون عادة ما يخرج بنزهته اليومية في نفس التَّوقيت لزيارة النَّبيل الروسي، وقد عاد بُعيدَ مغادرتهما، واتَّجه إلى الدَّور العلوي. بعد دقائق نزل راكضاً واقتحم غرفة المعاينة وهو يصيح: من دخل غرفتي؟!!

قلتُ: لا أحد!

صرخ قائلاً: هذا كذب! اصعد وانظر بنفسك.



تغاضيتُ عن فظاظته بسبب انفعاله الشَّديد، وصعدت برفقته إلى غرفته.

عندما وصلنا أشار إلى عدة آثار أقدام لونها فاتح كانت على سجادة الغرفة وصرخ قائلاً: هل تعتقد أنَّ هذه آثار أقدامي؟!

كان حجم الآثار أكبر حتماً من حجم قدميه ومن

الواضح أنَّها كانت حديثة.

لقد أمطرت بغزارة بعد ظهر اليوم كما تعرفان وحيث أنَّه لا يدخل المنزل إلا المرضى فلا بد أنَّ الشاب قد استغل وجودي مع العجوز في غرفة المعاينة وقام لسبب ما بالصعود ودخول غرفة (مريضي المقيم).

وقد اتّضح على الفور أنَّه لم يأخذ أو حتى يلمس أي شيء.

لم يكن هناك سوى آثار الأقدام على السجادة، وهي التي تثبت أنَّ شخصاً ما كان بالغرفة.

بدا السيد بليسنغتون منفعلاً جدّاً، ورغم أنَّ ما حدث كان ليقلق أي شخص لكن ليس إلى هذه الدَّرجة.

لقد جلس وبدا بالبكاء، ووجدتُ صعوبةً بالغةً بجعله يتكلَّم بشكلٍ منطقي.

لقد اقترح هو أن أُخبرك بالأمر، وبالطَّبع وافقتُ على الفور، لأنَّ الحادثة غريبةٌ فعلاً بالرُّغم من أنَّه يبالغ في خطورتها.

لذلك أرجو أن ترافقني بعربتي لتتمكَّن من تهدئته على

الأقل، رغم قناعتي بأنَّك قادرٌ على تفسير ما حدث. لأنَّه لا يوجد دلائل كافية للقيام بذلك.

استمع شارلوك هولمز إلى هذه القصة الطَّويلة بإمعان. فهمتُ منهُ أنَّها أثارت اهتمامه. وما أن أنهى ضيفنا كلامه حتَّى قفز هولمز من مكانه دون أن ينبس ببنت شفة والتقط قبعته، وناولني قبَّعتي ثمَّ تبع الدُّكتور تريفيليان.

بعد ربع ساعة كنا واقفين أمام باب الطَّبيب في شارع بروك.

كان واحداً من المنازل البسيطة التي تحوي العيادات في النَّاحية الغربية من لندن.

فتح لنا الباب بوَّاب صغير الحجم، وصعدنا الدَّرجات العريضة المفروشة بالسجاد.

لكن حدث أمر مُفاجئ جعلنا نتوقَّف أثناء صعودنا.

فقد انطفأ النُّور في الطَّابق العلوي وانطلق صوتٌ حاد خائف قائلاً: إنِّي أحذرك لدي مسدس في يدي وإذا اقتربت فسوف أطلق عليك منه.

صاح الدكتور تريفيليان: لقد تعدَّيت كل الحدود ياسيد

بليسنغتون.

فأجاب الصَّوت بارتياحٍ عميق: الحمد لله، إنَّه أنت يادكتور، أليس كذلك؟ لكن هل تأكدت من شخصية هذين السَّيدين؟

أدركنا على الفور أنَّه يرانا في الظَّلام بدقة.

أخيراً قال الصَّوت: حسناً، حسناً. إنَّ الأمور على مايرام. يمكنكم الصعود. أود أن أعتذر إذا كانت احتياطاتي الأمنية قد أزعجتكم.

أضاء ضوء الدَّرج، وتابع كلامه فرأينا أمامنا رجلاً بمظهرٍ أنيق، لكن أعصابه محطَّمة كما يبدو من مظهره وصوته معاً.

كان سميناً جدَّاً رغم أنَّه كان على ما يبدو أسمن من ذلك فيما مضى، فقد بدت تجاعيد وجهه مترهلة مثل خدود كلب سلوقي.

كان لونه شاحباً وشعر رأسه الخفيف الأشقر واقفاً من شدَّةِ الخوف. كان يحمل مسدساً بيده لكنَّه وضعه في جيبه مع اقترابنا منه.



وقال: مساء الخير يا سيد هولمز، أنا ممتنٌ كثيراً لمجيئك هنا، فلا أحد يحتاجك أكثر مني.

أظن أنَّ الدُّكتور تريفيليان قد أخبرك بالاقتحام غير المبرر لغرفتي.

فأجاب هولمز: بالضَّبط. من هذان الرَّجلان يا سيد بليسنغتون ولماذا يريدان إيذائك؟

قال المريض المقيم بعصبية: حسناً، حسناً من الصَّعب معرفة ذلك بالطَّبع. أنت لا تتوقَّع أنِّي أعرف جواب هذا السُّؤال يا سيد هولمز.

- هل تعني بأنَّك لا تعرف؟

- تفضَّل إلى الدَّاخل من هنا لو سمحت.

قادنا إلى غرفة نومه. كانت غرفةٌ واسعةٌ فيها فراش كبير ومريح كما يبدو.

قال السَّيد بليسنغتون وهو يشير إلى صندوقٍ كبيرٍ أسود موجود عند نهاية السَّرير: هل ترى ذلك؟ لم أكن قط شخصاً شديد الثَّراء يا سيد هولمز ولم أستثمر أموالي إلا مرَّةً واحدةً كما أخبرك الدُّكتور تريفيليان، لكنِّي لا أثقُ بالمصارف أو بأي شخصٍ آخر.

إنَّ القليل الذي أملكه موجودٌ في ذلك الصَّندوق، وأرجو أن تُبقي الأمر سراً بيننا يا سيد هولمز.

لذلك يمكنك الآن أن تتوقَّع سبب خوفي الشَّديد لاقتحام هذان الغريبان غرفتي.

نظر هولمز إلى بليسنغتون والتَّساؤل في عينيه، ثمَّ هزَّ

رأسه وقال: لا يمكنني أن أساعدك إذا كنتَ تحاول خداعي.

- لكني قلت لك كل ما أعرفه.

استدار هولمز وهمَّ بالانصراف ممتعضاً وهو يقول: إذن، عمت مساءً يا سيد بليسنغتون.

صاح بليسنغتون: هل ستغادر بدون أن تُقدِّم لي أي نصيحة؟!

- نصيحتي لك أن تُخبرني الحقيقة.

وبعد دقيقة كنَّا في الشَّارع مُتَّجهين إلى منزلنا. كنَّا قد تجاوزنا شارع أوكسفورد، وقطعنا نصف الطَّريق في شارع هارلي قبل أن أستطيع انتزاع شيء من هولمز.

أخيراً تكلَّم قائلاً: آسف لإحضارك إلى هذه القضية السَّخيفة ياواطسون، لكنَّها قضيةٌ مثيرة للاهتمام في العمق وليس كما تبدو من السَّطح.

اعترفتُ قائلاً: لم أفهم من القضية شيء.

- حسناً، من الواضح وجود شخصين أو أكثر يريدون

إزعـاج ذلك الرَّجل بليســنغتون لســبب ما. ولا أشــك مطلقاً بـأن الشَّـاب المرافـق للعجـوز قـد اقتحـم غرفـة بليســنغتون مرَّتـين، حيـث كان زميلـه يُشـتِّت انتبـاه الطَّبيب عنـه بطريقةٍ عبقريَّةٍ كي يبقى خارج الموضوع.

- وماذا عن المرض؟

- إنَّـه مجـرَّد تمثيل لأعـراض المرض يـا واطســون رغم أنِّي خجلـت من ذكـر ذلـك لطبيبنـا الاختصاصي الـذي يُفترض أن يعـرف الحقيقـة مـن الخـداع بسـهولة في هـذا المجـال. إنَّه مـن أسـهل الأمراض التـي يمكـن تقليدها، حتَّـى أنَّني قمت بذلك شخصياً في إحدى المرَّات.

- وماذا بعد ذلك؟

- كان بليســنغتون خـارج المنـزل في المرَّتـين بحكم صدفة بحتة.

كان ســبب اختيارهمـا هـذا التّوقيـت للموعـد واضحـاً حتّـى لا يكـون هناك أحـد في غرفة الانتظار، لكـن تزامن هذا التَّوقيـت مـع خروج بليســنغتون للنُّزهة المسـائيَّة مـا يدل على عدم معرفتهما بعاداته اليومية.

لـو كانـا يُريـدان المـال فقـط لحـاولا البحث عنه عـلى أقل تقدير.

إضافـةً لذلـك أسـتطيع أن أميِّـز إذا كان الشَّـخص خائفاً على حياته أم خائفاً على أمواله.

ليـس معقـولاً أن يكـون هنـاك عـدوان لدودان لشـخصٍ مثـل هذيـن فيما لم يفعـل لهـما شـيئاً، أو لا يعرف لمـاذا يحقدان عليـه. لذلـك لا بـد أنَّ السـيد بليسـنغتون يعـرف هذيـن الشَّـخصين ويكتـم الأمر لأسـباب تخصه. أعتقد أنَّه سـيكون أكثر انفتاحاً غداً.

فقلـت لـه اقتراحـاً: ألا يمكـن أن يصـح احتـمال آخـر في القضيـة، حتَّـى لـو كان كريهـاً لكنَّـه لا يـزال معقـولاً بالرغم من أنَّه كريه.

ألا يمكـن أن يكـون الطَّبيـب هو من اختلـق قصة المريض الـروسي وابنه حتَّـى يتمكَّن من الدُّخول إلى غرفة بليسـنغتون لسببٍ ما؟

رأيـت هولمـز يبتسـم مـسروراً بطريقـة تفكيريـن وقـال: صديقـي العزيـز، لقـد كان هذا واحـداً من أول الأشـياء التي

خطرت ببالي، لكن سرعان ما تأكَّدتُ من رواية الطَّبيب.

فقد ترك الشَّاب الذي دخل الغرفة آثار أقدامه على سجادة الدَّرج قبل الغرفة.

إنَّ مقدمة حذائه مستقيمة وليست مدبَّبة كحذاء بليسنغتون وهو أطول ببوصة ونصف من حذاء الطَّبيب.

إنَّ هذا الأمر لا يدع مجالاً للشك سواء بالطَّبيب أو بليسنغتون.

حسناً، دعنا ننسى الأمر الآن وسأكون مندهشاً فعلاً إذا لم أسمع شيئاً من أصحابنا في شارع بروك بحلول صباح الغد.

وسرعان ما صدق حدس هولمز، ففي السَّاعة السَّابعة والنّصف صباحاً، ومع أول شعاع من ضوء الشمس في اليوم التَّالي وجدته واقفاً بجانب سريري مرتدياً ملابس النَّوم وهو يقول: العربة بانتظارنا في الخارج يا واطسون.

- ما الأمر؟

- إنَّها قضية شارع بروك.

- هل من جديد؟

قال وهو يفتح السَّتائر ليدخل الضَّوء: أخبار مأساوية لكن غامضة...

انظر لهذه...

إنَّها صفحة من مفكرة تقول كلماتها: (بربك تعال حالاً، ب ت).

جعلني أراها وتابع قائلاً: لقد كُتبت بقلم رصاص وخط رديء.

لقد كان صديقنا الطَّبيب في وضعٍ صعب حين كتبها. هيا يا صديقي العزيز. إنَّها حالةٌ طارئةٌ.

بعد ربع ساعة وصلنا إلى منزل الطَّبيب الذي اندفع مسرعاً لملاقاتنا والرعب يملأ وجهه.

صاح قائلاً وهو يمسح جبينه بيده: يا إلهي! ياللفظاعة!

- ما الذي حدث؟

- لقد انتحر بليسنغتون!

صفّر هولمز لشدة الدَّهشة فيما أكمل الطَّبيب قائلاً:

نعم، لقد شنق نفسه أثناء اللَّيل!

دخلنا إلى المنزل خلف الدُّكتور إلى غرفة الانتظار، ثمَّ صاح قائلاً: لا أدري ماذا أفعل! رجال الشّرطة في الطَّابق العلوي الآن، وقد تسبَّب الأمر لي بصدمةٍ عنيفةٍ.

- متى اكتشفت الأمر؟

- عندما دخلت الخادمة في السَّابعة لتوصل له كوب الشَّاي كالعادة كل صباح، فوجدت المسكين معلَّقاً وسط الغرفة.

يبدو أنَّه قد ربط الحبل بالخطَّاف الذي نستعمله لتعليق المصباح الكبير، ثمَّ قفز من فوق الصُّندوق نفسه الذي أرشدنا إليه بالأمس.

وقف هولمز يفكِّر بعمق لدقيقةٍ كاملةٍ ثمَّ قال: أريد أن أصعد وأنظر في الأمر بعد إذنك.

صعدنا وتبِعنا الدُّكتور، وحين دخلنا غرفة النَّوم رأينا منظراً مخيفاً فعلاً.

لقد أشرتُ سابقاً إلى مدى ترهل جسمه لكنَّه بدا مترهلاً أكثر وهو معلَّقٌ بالسَّقف وكأنَّه ليس بشرياً.

لقد تمدَّدت رقبته فبدت كرقبة الدَّجاجة المسلوخة، فيما امتلأ جسمه مثل الكيس.

كان يرتدي ثوب نومه وقد برز من تحته كاحلاه المنتفخان، وقدماه الغليظتان.

كان يقف بجوار الجثَّة محقق شرطة أنيق، يدوِّن في مفكرته بعض الملاحظات، وحين دخل صديقي الغرفة قال بود: سيد هولمز! مرحباً بك، تسرني رؤيتك.

أجابه هولمز: صباح الخير يا لانر، أرجو ألا تعتبرني دخيلاً.

هل عرفت الأحداث التي قادت إلى هذه النِّهاية؟

- نعم، سمعت بعضها.

- هل كوَّنت أي رأي؟

- لقد جنَّ الرجل من الخوف كما فهمت، قد نام في سريره لوقتٍ طويل كما يظهر من الأثر العميق على السَّرير، وبما أنَّ الخامسة صباحاً هي السَّاعة الأكثر شيوعاً للانتحار كونها السَّاعة التي انتحر فيها على الأغلب وهكذا يبدو الأمر متعمَّداً.

قلت: أظن أنَّه مات منذ نحو ثلاث ساعات نظراً لدرجة تصلُّب عضلاته.

سأل هولمز لانر: هل لاحظتَ شيئاً غريباً في هذه الغرفة؟

أجاب المفتِّش: لقد وجدتُ مفكّاً وبعض المسامير على حامل المغسلة، كما يبدو أنَّه دخَّن بشراهةٍ في اللَّيل أيضاً.

هذه أربعة أعقاب سجائر التقطتها من جانب المدفأة.

قال هولمز: حسناً هل عرفتم أين المبسَم؟

- لا لم أجده.

- وماذا عن علبة السجائر؟

- نعم وجدناها. كانت بجيب معطفه.

فتحها هولمز وشم رائحة اللّفافة الوحيدة المتبقية بها، ثم قال: إنَّها من نوع هافانا، وهو نوع غريب يستورده الهولنديون من مستعمراتهم في الهند الشرقية، ويلف عادةً بالقش، وهي أرفع بالنِّسبة إلى طولها من أي نوع آخر.

التقط هولمز السَّجائر الأربع وفحصها بعدسة، ثم قال:

لقد استخدم المِبسم بتدخين اثنتين، أمَّا الأخريان فقد دخنهما بدونه.

كما تمَّ قطع نهاية اثنتين بسكين غير حاد وقضمت نهاية اثنتين أخريتين بأسنانٍ ممتازة.

إنَّه ليس انتحاراً يا سيد لانر، بل جريمة قتل، تمَّ التَّخطيط لها بمكرٍ شديد وعنايةٍ فائقةٍ، وتم تنفيذها بوحشية غير مقبولة.

صاح المفتش: هذا مستحيل!

- لماذا؟

- لماذا يقتل أي إنسان شخصاً عبر شنقه بهذه الطريقة؟

- هذا ما يجب أن نكتشفه.

- كيف تمكن القتلة من الدخول؟

- عبر الباب الأمامي.

- لقد كان مغلقاً بالمزلاج في الصَّباح.

- تمَّ إغلاقه إذن بعد مغادرتهم.

- وكيف عرفت ذلك؟



لقد رأيت آثارهم...

اسمح لي بلحظة لعلّي أتمكّن من إعطائك المزيد من المعلومات عن الأمر.

اتّجه هولمز صوب الباب، ثمّ أدار القفل ليفحصه، ثمّ أخرج المفتاح الذي كان بالقفل من الجهة الدّاخلية وتفحّصه أيضاً بعناية.

كما قام بفحص السّرير والسجادة والكراسي والمدفأة، إضافةً إلى فحص الجثّة والحبل.

أخيراً أعلن انتهائه من الفحص، وقام بمساعدتي ومساعدة المفتّش بقطع الحبل وإنزال الجثّة لنمدّدها على السّرير بشكلٍ محترم.

سألتهُ قائلاً: وماذا بشأن هذا الحبل؟

قال الدكتور تريفيليان وهو يسحب لفة حبال من تحت السّرير: لقد قُطع من هذه اللّفة، فقد كان بليسنغتون يخاف من الحريق بشكلٍ مَرضي، لهذا كان يحتفظ بهذا الحبل للهرب من النّافذة إذا احترق البيت ولم يتمكّن من الهبوط عبر الدّرج.

قال هولمز: لقد وفَّر بهذه الحبال على القَتَلَة المشقَّة.

إنَّ الوقائع بسيطةٌ جدّاً، وسوف تكون مفاجِئَة إن لم أتمكَّن من معرفة أسباب ما حدث بحلول الظَّهيرة.

سآخذ صور بليسنغتون التي أراها على رف المدفأة، لأنَّها قد تُساعد في تحقيقاتي.

صاح الطّبيب: لكنَّك لم تقل لنا شيئاً عمَّن يمكن أن يكون فعل ذلك.

قال هولمز: آه، لا شك أنَّ الأحداث متَّصلة ببعضها بشكلٍ منطقي.

هناك ثلاثة أشخاص مشتركين في الأمر الشَّاب والعجوز وشخصٌ ثالث، لا أملك دليلاً أو إشارةً تدلُّ إليه.

أول اثنين هما من تنكَّرا بشخصيَّة نبيلٍ روسي وابنه، لذلك نستطيع الحصول على وصفٍ كاملٍ لهما وقد أدخلهما إلى المنزل شريك لهما، فلو سمحت أيُّها المفتِّش أن تلقي القبض على البوَّاب الذي لم يعمل هنا إلا مؤخَّراً كما فهمت.

قال دكتور تريفيليان: لم نستطع العثور على ذلك المشاغب الصَّغير.. إنَّ الخادمة والطَّباخ ما زالا يبحثان عنه.

هزَّ هولمز كتفيه وقال: لقد أدَّى دوراً رئيسيَّاً في الأحداث. لقد صعد الثَّلاثة الدَّرج على رؤوس أصابعهم.

كان العجوز من مقدمتهم، تلاه الشَّاب، ثمَّ الشَّخص المجهول.

هتفتُ قائلاً: عزيزي هولمز!

لقد ميَّزت أمس أثر كل شخص عن الآخر، لذلك لا أشك في تركيبة آثار الأقدام.

حسناً، لقد صعدوا حينها إلى غرفة السيد بليسنغتون وتمكَّنوا من فتح الباب المغلق بإحكامٍ بواسطة سلك معدني.

حيث تلاحظون حتَّى بدون استخدام عدسة مكبِّرة الخدوش على هذه الجهة كما ستعرفون أين تم الضَّغط من أجل خلع الباب.

لا بدّ أنَّ أوَّل ما فعلوه بعد دخولهم الغرفة كان تكميم السَّيد بليسنغتون، الذي ربما كان نائماً، أو لعلَّ الخوف

الشَّديد شلَّ قواه فلم يتمكَّن من الصُّراخ وحتَّى لو أسعفته قوته وصرخ لم يكن أحد ليسمعه بسبب سماكة جدران الغرفة.



من الواضح أنَّهم تناقشوا بأمر ما بعد تكميمه، ويمكن أن يكون ما ناقشوه متعلِّقٌ بالإجراءات القضائيَّة أو القانونيَّة.

لا بد أنَّ النِّقاش استمرَّ لبعض الوقت، حيث قاموا بتدخين السَّجائر، فقد جلس العجوز على كرسي الخيزران

وهو من استخدم المِبسم، وجلس الشَّاب هناك حيث سقط رماد سجائره على الجزء الأمامي من الأدراج، أمَّا الثَّالث فقد كان يذهب ويجيء.

لقد جلس بليسنغتون في سريره بشكلٍ مستقيمٍ منتصب وإن كنتُ غير متأكِّد من هذا بالذَّات.

حسناً، انتهى الأمر بشنق بليسنغتون.

كانوا قد رتَّبوا الأمر مُسبقاً، وأعتقد أنّهم أحضروا معهم بكرةً أو قطعة خشبيَّة لاستخدامها كمشنقة.

وبعد أن انتهوا من عملهم أغلق شريكهم الباب بالمزلاج من الدَّاخل بعد خروجهم.

وبذلك أنهى هولمز شرح مجريات ليلة أمس، وقد استمعنا جميعاً بانتباهٍ عميقٍ إلى هذه التَّفاصيل التي توصَّل إليها بمساعدة ملاحظات صغيرة وغير مهمَّة لدرجة أنَّه حين أوضحها لنا بالكاد تمكَّنا من تتبُّع تحليله المنطقي للأحداث.

بعد ذلك أسرع المحقِّق للبحث عن البَّواب، أمَّا أنا وهولمز فقد عدنا إلى بيتنا في شارع بيكر لتناول الإفطار.

قال هولمز حين فرغنا من الطَّعام: سأعود عند الثَّالثة وسيكون كل من المفتِّش والطَّبيب هنا في انتظاري حينها. أتمنَّى أن أستطيع توضيح أي غموض ما زال يشوب القضية في ذلك الحين.

جاء ضيفانا في الموعد المحدَّد، لكنَّ صديقي لم يصل حتَّى الرَّابعة، وأدركتُ عندما رأيت وجههُ أنَّ الأمور سارت على خير ما يرام.

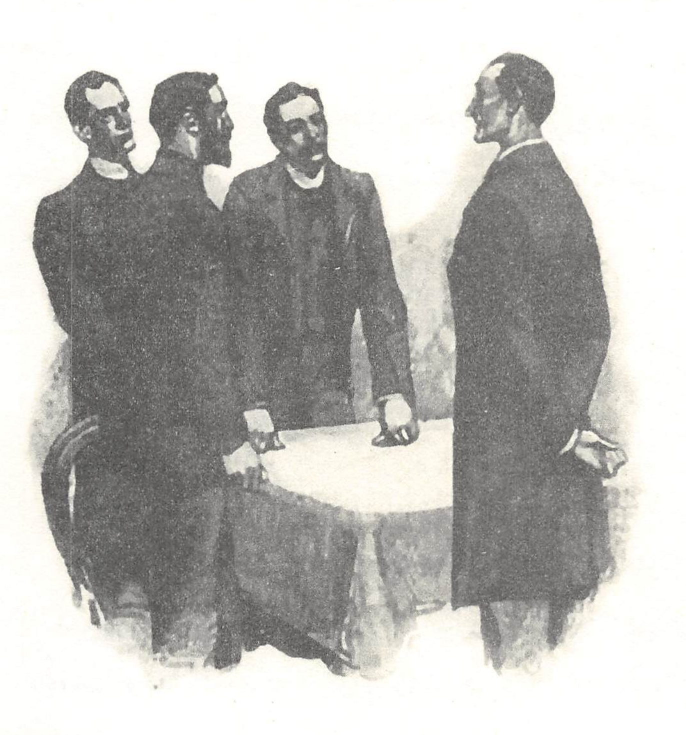
سأل هولمز المفتِّش: هل من جديد؟

- لقد ألقينا القبض على البَّواب.

- ممتاز، وأنا نلتُ من الرِّجال.

فصحنا نحن الثَّلاثة معاً: نلتَ منهم؟!!

- حسناً، لقد عرفتُ من هُم على الأقل. فقد كان المدعو بليسنغتون معروفاً في المركز الرَّئيسي للشرطة كما توقَّعتُ، وكذلك مهاجموه، وأسماؤهم هي بيدل وموفات وهاوارد.



عندها صاح المفتِّش: إنَّها عصابة ورثنغدون للسَّطو على المصارف.

قال هولمز: بالضَّبط.

- لا بدَّ إذن أن يكون عندها هو نفسه سوتن، أليس كذلك؟

قال هولمز: إنَّه هو بالضَّبط.

قال المفتِّش: يا إلهي! هذا يوضِّح الأمر تماماً.

تبادلت أنا و تريفيليان النَّظرات بحيرةٍ، فقال هولمز موضِّحاً: لا بدَّ أنَّكم تذكرون قضية ورثنغدون الكبيرة للسطو على المصارف.

لقد اشترك بتلك العملية خمسة أشخاص، هؤلاء الأربعة معهم شخصٌ خامس يُدعى كاترايت، حيث قتلوا الصرّاف وفرُّوا بسبعة آلاف جنيه.

كان ذلك في العام 1875.

وقد قُبض عليهم جميعاً لكنَّ الدَّليل ضدَّهم لم يكن قاطعاً، فتحوَّل عندها سوتن -أسوأ أفراد العصابة- إلى

مُخبر وعقد صفقةً مع الشرطة اعترف بموجبها بجرم أصحابه. ونتيجة اعترافاته تمَّ شنق كارترايت، وحُكِم على الثَّلاثة الآخرين بالسَّجن خمسة عشر عاماً.

عندما أُطلقَ سراحهم منذ بضعة أيَّام قبل انتهاء فترة محكوميَّتهم بسنوات، استغلوا كل ما لديهم من إمكانيات لتعقب الخائن والانتقام منه. وقد حاولوا مرَّتين ففشلوا، ثمَّ نجحوا في المرَّة الثَّالثة.

هل يوجد ما يحتاج المزيد من الشّرح يا دكتور تريفليان؟

قال الطَّبيب: لقد اتَّضح الأمر تماماً.

لا بُدَّ أنَّ اليوم الذي استشاط فيه غضباً هو نفس اليوم الذي رأى فيه خبر إطلاق سراحهم في الصُّحف.

- تماماً، ولم يكن حديثه عن السَّرقة سوى نوعٌ من التَّمويه عن القصَّة الحقيقيَّة.

- لكن لماذا لم يستطع إخبارك هذا كله؟

- حسناً يا سيدي العزيز، بما أنَّه يعرف الطَّبيعة الانتقاميَّة لشركائه السَّابقين، فقد حاول إخفاء هويَّته، فقد

كان إضافةً لحرصه على البقاء مختفياً خلف اسم آخر، كان يخجل مما كان يفعله.

على كل حال بالرُّغم من أنَّه كان سيِّئاً ومجرماً، إلا أنَّه كان تحت حماية القانون، لكن سيف العدالة كان أبلغ في الانتقام.

تلك كانت كل الظُّروف الغريبة التي ارتبطت بقضية المريض المقيم وطبيب شارع بروك.

ومنذ تلك اللَّيلة لم تستطع الشرطة الوصول إلى القتلة الثَّلاثة، حتَّى اعتقد الجميع أنَّهم كانوا بين ركَّاب السَّفينة المشؤومة (نورا كرينا) التي اختفت منذ عدة أعوام مع كل ركَّابها قبالة سواحل البرتغال، على بعد عدَّة فراسخ شمال أوبرتو. وهكذا بقي لغز شارع بروك، كما أصبح اسمه، غامضاً في بعض تفاصيله حتَّى الآن.

• انتهى •



